بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، السلام عليك يا رسول الله وعلى أهل بيتك الطاهرين، نرجو أن تشفع لنا في هذا اليوم ليرحمنا الله ويجعلنا معك ومن أمتك

المسألة الرئيسية التي أردت أن أنبّه نفسي ونفوس المؤمنين إليها في هذه المناسبة[1] هي كيف نكون من أمة رسول الله (ص)؟ وبعبارة أخرى كيف نكون بحيث أن ما نكرره من الشهادة على نبوة رسول الله (ص) تكون هذه الشهادة صادقة؟ الشهادة تعني الحضور ومعنى كون الشهادة صادقة يعني أنا حينما أقول أنا أشهد بهذا، يعني أنا متعهده، واقف معه حاضر عنده، حينما يقول الشخص إنه يشهد بنبوة رسول الله (ص) فيكون حاضرا عند هذه النبوة وشاعرا بها وواقفا معها

أولا أريد أن أشير إشارة مختصرة إلى الوضع الموجود، رغم أن هذا الوضع يُفترض أنه لا يخفى على عاقل، لكن مع الأسف أكثر الناس أو الأغلبية الساحقة من الناس ليسوا منتبهين إلى هذا

بعض الأحيان يجري الحديث عن ذل المسلمين، وأن المسلمين أذلة، لكن على الأكثر هذا الحديث يكون عابرا، وقد يركز عليه من قبل بعض الأشخاص، لكن المشكلة الأعمق هي أن العالم ذليل، فحتى الذين يتصورهم الإنسان أعزة وأقوياء شامخين هؤلاء أذلة، وأي ذل أشد من أن ينقلب وضع الإنسان فبدل أن يكون كما خلقه الله عز وجل يحكم شهواته وهواه بدل ذلك هو يخضع لشهواته، العالم الآن تحكمه الشهوات والإمامة التي تؤم العالم الآن هذه الإمامة تتبع الشهوات وتدعو الناس إلى الشهوات، بطبيعة الحال هذا واضح لكن نغفل عنه

الآن بلحاظ المسلمين لا يختلف الأمر، جميع الفرق الإسلامية من هذه الناحية لا يختلفون في ذلك، شخص يعيش حياته يكون ملتزما ومتقيدا ببعض المسائل الشرعية –قد يكون ذلك نتيجة التربية أو نتيجة سعي شخصي– وقد يكون ممن يعاني من تجاوزات فقهية يراها منتشرة يعني نفترض حينما يرى أن هنالك نساء سافرات متبرجات يتأذى، أو مثلا حينما يجد أو يقرأ أن هناك أغانٍ تنتشر ويوجد أناس يلتفون حول بعض

---

[1] تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث في يوم الجمعة بتاريخ ١٧ ربيع الأول ١٤٢٥هـ، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف يتطلبه تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

المغنيين هذا يحز في نفسه وقد يتأذى منه، وكذلك قد يلفت نظره حينما يجد أن المسلمين –هنا وهناك– يُذلون ويُحتقرون كذلك قد يتأذى، لكن بهذه الحدود فقط، أما أن يفكر بأن العالَم لِمَ هو كذلك؟ وأن يفكر بأني لماذا لا أفكر في جذور هذه المسائل؟ هذا لا يأتي في باله

الآن تلحظون أنه توجد هنالك بعض معالم الظلم تحدث في بعض الأماكن، فيركز عليها العالم، فيبدي الناس بشكل عام هنا وهناك التأذي من هذه الأعمال، هذا يحصل في الواقع، أليس كذلك؟ هذا يعني أن في الناس –بشكل عام– توجد هنالك نزعة فطرية لرفض الظلم، وتوجد نزعة فطرية إلى العدل، هذا يعني أن أي شخص –نفترض حتى أخوك– إذا وجدته يظلم شخصا تتأذى منه، بشرط أن يكون هذا الظلم ظلما سافرا، خصوصا إذا كان الظلم ظلما ظاهريا –ماديا أو جسديا–، لكن الظلم الحقيقي فهو الآن لا يفهم ولا يعرف، الظلم الحقيقي يحصل حينما تريح حياة الإنسان وهذه الإراحة تلهيه عن دوره

هل تفكر أن تجد نسبة من المسلمين الآن يفكر بأن هذه الحياة المريحة تؤثر فيه وتجعله يتنازل عن شخصيته؟ يعني هذه الحياة المريحة تقلب وضعه بدل أن تكون حياته تحت سيطرته هو متحكم فيها، تكون هي التي تتحكم فيه وهي التي تسيره! كم بالمئة من المسلمين تتوقع أن هذا يأتي بباله؟ في حين أن هذه المعادلة معادلة بديهية، حتى إذا لم نجد مثلا أن أمير المؤمنين (ع) في تلك القصة أن شخصا رآه يتغدى فوجد رائحة حموضة اللبن، ورأى قشور الخبز، كان يتغدى لبنا وخبز شعير، بعد ذلك قال أمير المؤمنين (ع) عن النبي (ص): (بأبي من لم يشبع من خبز برّ –يعني خبز قمح خبز حنطة– ثلاثا إني أخشى إن لم أفعل هذا أن لا ألحق به)[٢]، الحلوى المزعفر لا يرحّب به أمير المؤمنين، يجد فيه أن هذا يؤثر على نفسه، كأن يجعله –والعياذ بالله– يكون ممن أذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا

وكذلك يروى أن إحدى زوجات رسول الله (ص) طوت له كساء أكثر من طية حتى يصير فراشا وثيرا فرسول الله (ص) بعد أن نام على فراشه تأذى[٣] لأن هذا أثّر فيه، كم تتوقع من المسلمين هكذا يفكرون؟

---

[٢] المناقب (ص١١٨)

[٣] البداية والنهاية (٥٣/٦)

المشكلة أن هذه المعادلة –أي أن الراحة مطلوبة– هي بديهية عند الناس، إمامة العالم تسعى إلى ترويج الراحة والدعوة إليها، هذا ليس معناه أنك الآن حينما تسمع هذا الكلام وتتأثر به فتحاول أن تترك الراحة، لا، هذا يكون تكلفا، أما إذا عرفت باب المسائل كلها وهو الولاية (الإمامة)[٤]، فإذا عرفتها هنالك ستطرق باب الولاية، فمن هناك تسعى إلى طريق يوجد فيه هذا الشيء وغيره من اندفاعات أخرى كذلك[٥]

إذن هذا هو الوضع الآن، دعنا نعبر عن هذا الوضع كما قلت بالذل، الذل الشائع، الآية الكريمة (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ)[٦] الآن العالم كله يعيش أسفل سافلين، لاحظ مثلا شخص يكبّر الله خمس مرات على أقل التقادير –بل أكثر، يعني في الصلوات توجد تكبيرات كثيرة غير تكبيرة الإحرام–، يكبّر الله ويعيش في بيئة مسلمة، ويسمع كثيرا من الأحاديث الدينية خصوصا في مجتمع حيث الوفرة المالية تهيئ استماعا مريحا لكثير من الأحاديث الدينية، لكن مع ذلك كم بالمئة من المسلمين تتوقع أن تجد من لا تؤثر فيهم تلك الحياة ولا يرغبون فيها؟ يعني مثلا هم حقيقة لا يطلبون البيت الفارِه، المركب الفارِه، الملابس الملفتة للأنظار، الحياة المنعمة

تارة شخص مضطر –وقد يشتهي بطبيعة الحال هذه الأشياء– لكن في نفس الوقت يعرف أن هذه الأشياء تؤثر فيه سلبا، يعني تأخذ منه شخصيته، تؤثر على شخصيته وعلى قيمومته، فيتألم لأنه مُكره ومجبور أنه يساير العالم وهو يتقيه، تارة لا، هو مُكب عليه ومقبل عليه، هذا هو الوضع الآن، في هذا الوضع قلت بأنه تحصل تأذيات لكن هذه التأذيات أولا محدودة –مثلا نفترض بأنه في دول معينة يحصل هنالك ظلم، فشخص يتأذى والتأذي قد يكون شديدا، لكن هذا التأذي نطاقه محدود ثم مبتور لا يستمر، مضافا إلى ذلك حتى لو يرفض هذا الظلم لكنه لا يُفكر في البديل

لاحظ، كثير من الشباب في العالم الآن انطلاقا من هذه الفطرة الموجودة فيهم يقومون ضد العولمة، أو ضد بعض معالم الفساد المنتشر في العالم، هذا معناه أن هؤلاء يجدون هذا ظلما ويرفضونه، وهم ليسوا مثل من فقط يتأذى، شخص قيل له: بأنك أنت كثير بدين فلو تخفف أكل قليلا، قال: والله أنا من القهر آكل! حينما

---

[٤] أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٢ – نبوة النبي (ص)**، فصل (**ولاية شاملة**)

[٥] أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت١ – الفكر والإيمان**، فصل (**اندفاعات فطرية**)

[٦] (التين: ٤–٥)

أشاهد هذا الجوع المنتشر في أفريقيا كثير أتألم!. بينما من أتكلم عنهم هؤلاء ليسوا كذلك، فهم يسافرون من أماكن بعيدة حتى يجسدون هذا الرفض، يتحملون ويعانون لكن هؤلاء إذا سُئلوا ما هو البديل؟ نفترض الآن لا توجد عولمة فهل المشاكل تنتهي؟ ماذا يجيبون؟ لا أظن أنه إذا أحد من المسلمين يتعقل ويفكر في المسألة يقول بأن وضعنا جيد والحمد لله المساجد عامرة والصلوات موجودة والتزامات أيضا موجودة! ما أظن يوجد إنسان يتعقل وهكذا يفكر

معروف أن رسول الله (ص) ولد في عالم هو بشكل عام يشبه وضع العالم الآن ولكن بفارق، في نهج البلاغة يوجد وصف لذلك العالم: (...أرسله على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الأمم -يعني وطول نوم، الناس نائمون- واعتزام من الفتن وانتشار من الأمور وتلظ من الحروب والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور على حين اصفرار من ورقها وإياس من ثمرها واغورار من مائها قد درست منار الهدى وظهرت أعلام الردى فهي متجهمة لأهلها عابسة في وجه طالبها ثمرها الفتنة وطعامها الجيفة وشعارها الخوف ودثارها السيف...)[٧]، يعني في ذلك الحين في العالم كله كانت هنالك دولتان معروفتان، كانتا متصارعتين لكن كانتا بنفس النية وبنفس الطريقة ولنفس الأهداف تتصارعان، سواء هذه الدولة تغلب أو هذه الدولة تغلب فالوضع لا يختلف، إذن الشخص المظلوم يجب أن يتكيف مع الظلم، يجب أن يبرر لنفسه الوضع الظالم الموجود وإلا لا يستطيع أن يعيش، فكيف بمن يفكر في الخروج من هذا الوضع أو يفكر في طريقة تغير هذه المعادلات؟ الآن كذلك في العالم هنالك يوجد رفض لكن هذا الرفض هو فزعات مبتورة ومحدودة، هذا كان موجودا في العالم ذلك الحين

أما البيئة التي ولد فيها رسول الله (ص) وترعرع ونشأ ثم بُعث فيها، هذه المنطقة كيف كانت؟ بيئة فقيرة -رغم ما يُتكلف من تزيين الوضع فيها-، في القرآن الكريم: (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)[٨]، يعني أن القرآن حينما نزل -والقرآن دعوة يدعو الناس إلى الصلاح والفلاح- كانوا يعلمون أن هذه دعوة للإصلاح، فكانوا يضحكون منه، يقولون الآن يظهر شخص من عندنا نحن وهو يريد أن يصلح العالم! صحيح أنه توجد مشاكل في العالم لكن هل نحن نستطيع أن نغيرها؟! حتى إذا يحصل إصلاح فعملية الإصلاح يجب أن تتم من قبل أناس غيرنا وهم الذين بأيديهم أزمّة الأمور، الأمم الراقية، كسرى

---

(٧) نهج البلاغة (الخطبة ٨٩)

(٨) (الزخرف: ٣١)

بإمكانياته الهائلة، بتطوره في شتى ميادين العلوم، الفن، الطب، التكنولوجيا في ذلك الحين، منذ أمد بعيد كان يستعمل النظام البريدي بتقنية متطورة، هؤلاء لم يفكروا في الإصلاح فهل نحن نفكر! أهؤلاء غير مؤهلين ونحن مؤهلين؟! يقولون أشخصٌ أمي يعيش فيما بيننا وأُمر بالإصلاح بدعوة الناس إلى رفض هذا الوضع الموجود كليا وإلى تغيير جذري (أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ)[9]

تلك الفطرة الموجودة في أي إنسان والتي تجعله يشعر بالمسؤولية تجاه الآخرين[10]، ويشعر بالأذى من الظلم، ويستطيع أن يتعقل ويربط الأمور ويجذّرها، تلك الحالة الفطرية بالتدريج تخمل، تخمل، تخمل، إلى أن الإنسان يصبح بحيث لا يجد لنفسه قيمة حتى أن يشعر في قرارة نفسه أنه يستطيع أن يغير! أنا لا، أنا فقط رسالتي هي أن أكون مع أخي ضد أناس آخرين –هؤلاء كانوا هكذا– نسلبهم، نغزوهم، نستولي عليهم، وكذلك بالعكس ندافع عن أنفسنا هذه هي رسالتنا هذه حدودنا

نحن الآن بهذا الوضع هل نفكر في إصلاح العالم؟ الآن أنت تقول هنالك توجد فتنة في العالم، الناس يُفتنون، يوجد في العالم استضعاف، الناس سُلبت عقولهم، هنالك توجد عوامل تسد طريق الإنسان ليمارس فطرته، ما كانوا يفكرون بهذا الشكل، الآن كذلك لا أحد يفكر، أرجو أن لا تكون أنت كذلك إن شاء الله، أنت جرب، شخص حياته مستقرة، سيارته بيته شغله، وبطبيعة الحال صلاته أيضا موجودة إذا كان متدينا ملتزما، وبعض الأشياء الأخرى كذلك موجودة، أكثر من هذا لا يستطيع أن يفكر، وإذا قيل له فكر –وكان صادقا– يقول هذا حدّي، هذا شغلي أنا والحمد لله أخاف الله، كثيرا كنت أسمع شخص يخاف الله وحتى يحافظ على صلاة الليل، لكن أي مردود من قبيل أن هذا يفكر أنه هو مسؤول تجاه العالم وأن له دورا، حتى بمستوى التفكير لا يستطيع أن يفكر في ذلك، وحتى إذا قيل له يقول ما هذا أنت مجنون؟! استسلام استسلام، تنازل تنازل، تخاذل تخاذل إلى هذا الحد، فهذا حتى في قرارة نفسه لا يجد لنفسه أية قيمة غير الاستهلاك، ولو لم يولد في بيئة ملتزمة لا يوجد فيه أي حركة لأن يبحث –على أقل التقادير– عن وضع آخر، مكتفي، الشيء الذي يُعطى له يأخذه بمقداره، إذا يقال له عن الحسين (ع) شيئا يبكي، وإذا يُذكر النبي (ص) يصلي عليه، وإذا يقال له بأن الصدقة جيدة من الممكن يتصدق، ومن الممكن يزور قبر النبي (ص) وقبور الأئمة (ع) هذه الأمور

---

[9] (القمر: ٢٥)

[10] أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في حديث بعنوان (**الإمامة تحرر الإنسان**) والمنشور في الموقع

يفعلها، أما ذلك الأساس الذي يجسد إنسانيته فذلك الأساس مهمل، كذلك كان الجاهليون، الآن بعبور سريع جدا وبتطويف كثير من الأشياء أنتم تعلمون التاريخ وماذا حصل

ذلك الإنسان الذي كان في تلك البيئة، البيئة تقول (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)، ذلك الإنسان وضعه المادي لم يتغير، بقي جائعا فقيرا كما كان، أنتم تعلمون بأن رسول الله (ص) ينقل عنه أنه كان يشد الحجر على بطنه الشريف من الجوع[١١]، في بعض الروايات لم يشبع من خبز شعير[١٢]، ما كان يجمع بين إدامين، الفقر منتشر لم يتغير، كانت هنالك حروب، بعض الأقوياء كانوا يستحوذون على الأموال، فيعمّ الفقر، لكن مع ذلك ما هو الذي تغير؟

ذلك الإنسان الأمي الفقير حينما كان يختلي بنفسه أو يختلي مع أخيه المؤمن كان يفكر في العالم، (وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ)[١٣]، يعني هؤلاء كانوا يفكرون أن في العالم يوجد استضعاف، وأنه هو مسؤول عن هذا الاستضعاف، وأنه يستطيع أن يغير هذا الوضع (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ)[١٤]، القرآن كان حيا في ذلك الحين، أما الآن فيُتلى من بعيد، الآن أنت تستطيع أن تتصور في ذلك العالم المثقف حول هذه المنطقة، قصور بصرى آثارها موجودة إلى الآن مبهرة، تجار مكة حينما كانوا يسافرون إلى بصرى ويرجعون، كانوا مدة طويلة يتكلمون عما رأوا من تلك القصور، مسجد آيا صوفيا كان موجودا في ذلك الحين، المسجد الأموي في الشام كان كنيسة مبهرة، حياة مبهرة

أصبح هذا الإنسان الأمي الفقير الذي يعيش في الصحراء يفكر كيف يهدي كسرى؟ كيف يهدي إمبراطور الروم؟ أصبح يفكر بهذا الشكل، هل الله عز وجل خلق في هؤلاء شيئا جديدا؟ لا، هذه الفطرة موجودة، يعني أي إنسان مفطور على أن يفكر في رفع الظلم ويفكر في الطريقة التي تزيل الظلم، وأن يفكر في البديل الذي يتحقق به العدل[١٥]، هذا الإنسان مفطور ليتعقل، قد لا يستطيع أن يتصرف أي تصرف خارجي،

---

(١١) كتاب مسلم (١٦١٤/٣)

(١٢) بحار الأنوار (٢٤٣/١١)

(١٣) (النساء: ٧٥)

(١٤) (الأنفال: ٣٩)

(١٥) أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٦ – المهدي** (ع)، فصل (**ما هو العدل؟**)

هذا هو رمز إنسانية الإنسان، فالله خلق الإنسان في أحسن تقويم، هذا معناه هو كقيم كمسؤول عن العالم يقوّم العالم، يعني يعدّل الأشياء في قرارة نفسه، يفكر أن هنالك أشياء خاطئة في هذا العالم يعدلها يبدلها يغيرها في قرارة نفسه حينما يفكر، هذا ميسور، الإنسان مفطور على هذا، وكم هو لذيذ أن تجرب حينما تختلي بنفسك وتفكر كقيّم كمسؤول، تفكر –بينك وبين نفسك– كيف تعدّل الأشياء الموجودة في هذا العالم حسبما ترغب، أصحاب الشهوات يفعلون هذا الشيء لكن ذلك تقويم منحرف، تحريف تزييف إضلال، جرب تكلم مع صاحبك اسأله قل له دعنا نفكر مع بعض أن هذا العالم كيف نقوّمه؟ ينظر إليك باستغراب ماذا تقول أنت؟ قد تخاف منه، بينما هذه فطرة الإنسان

في عهد رسول الله (ص) وُجد أمران، شريعة تبين هذا الظلم الذي يصد عن الحق، الباطل الذي يصد عن الحق وجذور هذا الباطل، يبين الباطل كشجرة ويبين كيفية إزالة هذه الشجرة، أنت تأتي فتركز على ورقة من هذه الشجرة فتقصها، هل هذا ينفع؟ يجب أن تعلم روابط هذه الشجرة وأصول هذه الشجرة، ثم كيفية التعامل مع هذه الشجرة لتزيلها، الشريعة هكذا، وأيضا كيف تكون قويا بحيث تستطيع أن تقوم بهذا العمل

وكذلك تحققت الولاية التي بها الإنسان في ذلك الحين وجد شخصيته، هل الآن تلك الفطرة زالت أم هي موجودة؟ يعني هل الإنسان تغير فحصلت له فطرة أخرى؟ كلا، فهذه الفطرة موجودة، وتلك الشريعة موجودة (حلال محمد حلال أبدا إلى يوم القيامة...، لا يكون غيره ولا يجيء بعده)[١٦]، نحن نشهد بنبوة رسول الله (ص) فهل هذه الشهادة تنشط فطرتي وتنشط فطرتك وتبين لنا الشريعة؟ هذه الشهادة التي نشهد بها هل تستطيع أن تبين لنا كيفية التعامل مع الباطل الذي يصد عن الحق؟ وتبين لنا الحق الذي يجب أن نتبعه؟ وهل هي تقويك بدرجة تستطيع أن تكون قيّما وتمارس هذه القيمومة؟ هل شهادتك بنبوة رسول الله (ص) تذكرك بهذا –بلا تكلف– يعني تثير فطرتك وتجعلك في الطريق الصحيح؟

هذه هي المسألة، وأرجو أن يجعل الله في هذا الحديث نفعا لأن نجد الطريق الصحيح الذي به نشارك أصحاب رسول الله (ص) في عزهم وشموخهم ودينهم وطموحاتهم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين

---

[١٦] الكافي (١/٥٨)